الوحي القرآني عند المستشرقين

م.د. محمد حميد عواد الكروشي　　　الباحثة نضال عبد الأمير عبيد
كلية التربية/ قسم علوم القرآن　　　رئاسة جامعة القادسية
Mohammad. hameed@ qu. Edu.iq

تاريخ الطلب: ٢٠٢١/٣/١٥
تاريخ القبول: ٣٠/ ٣/ ٢٠٢١

الملخص

في أكثر كتابات المستشرقون تجد أنَّهم يقولوا أنَّ القرآن الكريم كتاب من تأليف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وليس كتاباً من عند الله تعالى، مستعينين ومتذرعين بأساليب ومناهج عدة من أبرزها استعمالهم لمنهج النقد التاريخي وتطبيقه على السيرة المحمدية لكي يصلوا إلى غاياتهم المتمثلة ببشرية القرآن؛ حيث يؤسسون في كتاباتهم لعلاقة ورابطة بشرية بين القرآن الكريم وبين النبي محمد)ص(، انطلاقاً منها لتحقيق غاياته وأهدافهِ وفقا لتجربة دينية نتجت عن واقع معين، حيث اتسم أسلوب كثيرا من هؤلاء المستشرقين في كتاباتهم من الناحية الشكلية بالبساطة مع إضفاء طابع العلمية، إلا أنَّ كثيراً من صياغاتهم تتسم بالتشكيك والارتياب حول مفهوم الوحي القرآني، مؤكدين في أغلب طروحاتهم على دعوى التأثير اليهودي والمسيحي على القرآن الكريم والرسالة الإسلامية، مع دعوات هؤلاء المستشرقون بأنَّ التأثير النفسي على الوحي القرآني، وذلك بتحليل مواقف من السيرة المحمدية على أنَّها انعكاساً لمَا كان يُلاقيه النبي محمد)ص) من خصومه، ومَا يتعرض له في خلال حياته، اذ يسعون إلى نفي مصدرية الوحي الإلهي عن القرآن الكريم، مدعين في ذلك، بوجود مصادر متعددة للقرآن الكريم لا تخرج في غالبها عن الموروث الجاهلي ونصوص التوراة والانجيل، وما قرروه هو أن القرآن الكريم وثيقة تاريخية تُعبر عن حقبة النبي محمد)ص) وَحياته الشخصية .

ABSTRACT

In most of the writings of orientalists, you find that they say that the Holy Qur'an is a book written by

the Prophet Muhammad may God bless him and his family and grant them peace, and not a book from God Almighty, using and invoking several methods and approaches, most notably their use of the historical criticism method and its application to the Muhammadan biography in order to reach their goals represented. the humanity of the Qur'an; Where they establish in their writings a human relationship and bond between the Holy Qur'an and the Prophet Muhammad (peace and blessings of God be upon him and his family), based on it to achieve its goals and objectives according to a religious experience that resulted from a specific reality. However, many of their formulations are characterized by skepticism and skepticism about the concept of Qur'anic revelation, emphasizing in most of their thesis on the claim

The Jewish and Christian influence on the Holy Qur'an and the Islamic message, with the claims of these Orientalists that the psychological impact on the Qur'anic revelation, by analyzing positions from the Muhammadan biography as a reflection of what the Prophet Muhammad (peace be upon him and his family) encountered from his opponents, and what he is exposed to during his life , as they seek to deny the authenticity of the divine revelation from the Holy Qur'an, claiming that there are multiple sources of the Holy Qur'an, most of which do not depart from the pre-Islamic heritage and the texts of the Torah and the Gospel. Peace be upon him and his personal life

المقدمة

الحمد لله الذي أعزّ بكتابه العزيز من كان ذليلًا، وشفى بأحكامه ومواعظه من كان عليلًا، وهدى بهداه من كان ضالًا، وأدخله ظلّا ظليلًا، ووعد من تلاه وعمل به ثوابًا جزيلًا، ونوّر بنوره قلوب أوليائه، وجعل لهم ببركته في دار فضله مقيلًا .

أما بعد:

فإنّ الحركة الاستشراقية من أبرز الحركات الفكرية الفاعلة في العالم التي شكّلت في نتاجها ورجالاتها لوحة ممتزجة من الثقافات العالمية، تحرص في ثنايها على بثّ الأفكار والثقافة المتنوعة.

ولقد شكل الوحي الإسلامي مساحة واسعة في الطرح الاستشراقي الحديث، إذ يعد الوحي الأساس الذي يبتنى عليه الدين الإسلامي، ولأجل ذلك يرغب الباحث بتناول الرؤية الاستشراقية من خلال أحدث البحوث الاستشراقية؛ حيث انطلق المستشرقون في دراساتهم للقرآن الكريم من مناهج عدة وغايات مختلفة، فأثارت أعمالهم جدلاً واسعاً في البلاد الإسلامية لِما تحتويه من نقد لتراث الإسلام ومهاجمة ثوابته، مما أدى لتكوين استجابة متناقضة تجاه النتاج الاستشراقي في البلاد الإسلامية، فمن: جانب استدعى الجهد الاستشراقي علماء الأمة للرد على الطعون الموجهة إلى الإسلام والتراث العربي عموماً، فظهرت جملة من الردود والمناقشات التي استمرت إلى يومنا هذا، ومن جانب آخر: ظهرت استجابة مناقضة تمثلت بتيار يتبنى الأفكار والأطروحات الاستشراقية ويُثَقِّف لها.

لقد توسع المستشرقون في تناول موضوع الوحي في كتاباتهم بحثا عن مصدره غير الإلهي، ولذا يتطلب دراسة وبحث جهودهم حول الوحي القرآني ،حيث سعى المستشرقون في كتاباتهم إلى تشكيلِ علاقة بين القرآن الكريم وَبين الرسول الكريم (ص) مَفادُهَا : إنَّ القرآن الكريم ما هو إلا نتاج بشري صَادر عن النبي محمد(ص)، وَلذلك ستكون هذهِ العلاقة هي محور البحث الأساس، يُسلط فيها الباحث الضوء على آراء المستشرقين التي تَدور حَول القرآن الكريم ومصدره.

والقارئ لكتب المستشرقين يجد قَضية الوحي القرآن الكريم وعلاقته بالنبي محمد (ص) تُلقي بِظلها على كلِّ محور من محاور السيرة المحمدية التي تمثل الانعكاس التطبيقي عن القرآن الكريم، مُنطلقين بذلكَ على تَتبع مَراحل السيرة المحمدية وأثرها في كشف تاريخية تكوين النص القرآني، مستندين على مقدمة خاطئة تعد القرآن الكريم وثيقة تاريخية تُجسد تاريخ النبي محمد(ص)؛

كون القرآن الكريم يمثل المنزلة الأولى عند المُسلمين، وَهو في الوقت ذاته وَثيقة تاريخية مُعتمدة عند عامة المستشرقين في دراستهم لتاريخِ النبي محمد(ص) وعصره.

وقد استعمل المُستشرقون في دراستهم للوحي القرآني مناهج عدة، كان في مقدمتها مَنهج النقد التاريخي الذي لا يشترط الإسناد وصحته، ويرى من خلالهِ أنَّ القرآن وَثيقة تاريخية تُوضح الرؤية حول حياة النبي محمد (ص) وَحقبتهِ.

والله الموفق للصواب

المبحث الأول : الوحي وأهل الكتاب

يتناول هذا المبحث التعريف بمفهوم الوحي لدى المسلمين والمستشرقين من جهة أخرى ، فضلاً عن دراسة أهم رؤية عند المستشرقين متمثلة بدعوى اقتباس القرآن الكريم من التوراة والإنجيل .

المطلب الأول : التعريف بالوحي

قبل الخوض في المفاهيم الأساسية عن الوحي القرآني لدى المستشرقين، لا بد من تمهيد الدراسة ببيان مفهوم دقيق عن الوحي، وفي هذا المطلب يتناول الباحث تعريف الوحي في اللغة، ثمَّ يتناول مفهومه عند المسلمين واليهود والمسيحيين، وَمدى اختلاف الآراء في قضية تعريف الوحي عند كل ديانة، فضلاً عن أثر تلك التعريفات في كتابات المستشرقين.

الوحي (Revelation) في اللغة يعني: " الإشارة والكتابة والرِّسالة والإلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك يُقال وحَيتُ إِليه الكلامَ وأَوحَيتُ ووَحَى وَحياً وأَوحى أَيضاً أَي كتب"[١]

وَقال الراغب الأصفهاني: " أصلُ الوحي الإشارة السريعة ولِتَضَمّن السرعة قيل: أمرٌ وَحيٌ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وَقد يكون بصوت مُجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة[٢]،وَيقال: " وحيت إليه وأوحيت: إذا كلَّمته بما تخفيه عن غيره، والوحي: الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلامِ على سبيل الرمز والتعريض، وَقد يكون بصوت مجرد، وبإشارة ببعض الجوارح"[٣]

أما الوحي (**Revelation**) في الاصطلاح : فَقد وَرد تَعريفُ الوحي في المُعجم الفلسفي بصورة عامة بأنَّه: " فكرة دينية وفلسفية مَعناها كشف الحقيقة كشفاً مباشراً مُجاوزاً للحس ومقصوراً على من اختارته العناية الإلهية"[٤]

وَالوحي في تعريف علماء المسلمين مذاهب، فمنهم من يُعرف الوحي بمعنى "الموحى" فيقول هو: كَلَام الله الْمنزل على نَبِي من أنبيائه[٥]

وَيرى ابن خلدون إنَّ الوحي هو: " مُفارقة البشرية إلى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس، فيحدث عنهُ شدة من مُفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر"[٦].

وَيذهب محمد عبده إلى تعريف الوحي، بقوله: " أمّا نحن فنعرفهُ على شرطنا بأنَّه عِرفان يجدهُ الشخص من نفسه، مع اليقين بأنّه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور" [٧].

وَيُؤخذ على هذا التعريف أن الوحي لا يُعد من ذات النفس ولا من كلامها، فضلاً أنَّ الوحي لا يقتصر على العرفان فَقد ورد أنَّ الوحي أتى بمثل صلصلة الجرس، أما اليقين النفسي فقد يكون من وَساوس الشيطان[٨]

أمّا الوحي عند اليهود: فقد ورد في العهد القديم أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يتلقون الوحي الإلهي إمّا مباشرة كما جَاء: " وَكلم اللهُ مُوسى وَقال لهُ أنا الرب "[٩] أو قد يكون عبر واسطة، وذلك عن طريق رجل الله كما وَرد: " جَاءني رَجلُ الله " [١٠]، أو عن طريق الرؤيا كما وَرد في العهد القديم : " انفتحت السماوات فرأيت رؤى الله [١١] ، وَلذلك جَاءت تَصوراتُ اليهود عن الوحي في قالب الكلام المباشر من الرب إلى الأنبياء، وَهم يتصورون الرب في صورةِ إنسان يُلهمهم إلهاماً عن طريق تأثير قوة فوق الطبيعة[١٢]

والوحي عند النصارى هو: حلولُ روح اللهِ في الكُتّاب المُلهمين، وتبعاً لهذا التعريف، فإن الاتصال بالله يتمُ مباشرة عن طريق الحلول ولا يحتاج إلى واسطة، وَمن ثَمَّ لا يقتصر الوحي على الأنبياء وَحدهم كما هو المفهوم الإسلامي[١٣]

وَجاء في قاموس الكتاب المقدس أنَّ كلمة الوحي: تُستعمل للدلالة على نبوة خاصة بمدينة أو شعب، فالوحي هو الرئيس، أي أنَّه آية للشعب؛ فيراد بالوحي الإلهام، فيكون بهذا المعنى: هو حلول روح الله في روح الكُتّاب المُلهمين؛ وذلك لإفادتهم بحقائقٍ روحية أو حوادث مُستقبلة لا يتوصل إليها إلا به[١٤]

وَيرى نولدكه (Theodor Noldeke) إنّ الوحي هو: " كل إلهام

تلقاه النبي، وكل أمر إلهي وُجِّه إليه، حتى لو لم تعتبر كلماته قرآناً " [١٥]

وهناك بعض المستشرقين من يرى: أنّ الوحي لا معنى محدد له، كما جاء عن مونتجمري (Montogmery Watt) : الوحي مصطلح لا معنى محدد له بالمفهوم العلمي القياسي[١٦]، ويدعي توشيهيكو إيزوتسو (Toshihiko Izutsu) أنّ هذا الغموض مصدره القرآن الكريم، إذ يقول: " إنّ الوحي ليس سوى حالة خصوصية جداً من تنزيل الآيات، إلا أنّه يبرز بشكل أكثر وضوحاً وتحديداً عن سائر أشكال التنزيل، الأمر الذي يفرض أن يُدرس منفصلاً كنوع مستقل، وهذه هي رؤية القرآن إلى المسألة أيضاً، فقد مُنح الوحي في القرآن مكانة خاصة جداً، إذ عومل كشيء غير اعتيادي، شيء غامض لا يمكن لسره أن ينكشف للعقل الإنساني العادي، ومن هنا كانت ضرورة وجود الوسيط الذي يُدعى بالرسول وبهذا الاعتبار فإنّ الآيات التي ينزلها الله بهذا الشكل الخصوصي مختلفة تماماً عن كل الآيات الأخرى الطبيعية "[١٧]

المطلب الثاني : الوحي القرآني وأهل الكتاب

من المفاهيم الأساسية في كتب المستشرقين أن القرآن الكريم مقتبس من كتب أهل الكتاب (التوراة والإنجيل) زاعمين أنّ الوحي القرآني مصدره اليهودية والمسيحية، محاولين مِراراً وبشتى الوسائل لإثبات هذا الادعاء، كما بقول المستشرق الألماني باريت:" فإذا كان النبي ـ كما كان عليه الأمر في الغالب ــ قد دَار في خَلَدِهِ أن يحمل رسالةً إلهية على شكل مَا لدى أهل الكتاب، فقد كان ضرورياً أن يكون بين يديه نص شعائريٌ كما لديهم، وَلذا فإنّ الوحي القرآني الأول، الذي تلقاه، كان في الوقتِ نفسِه مُفتتحاً لذلك النص الشعائري المُرتجى" [١٨]، وَهذه الأقوال على عمومها يَجدها القارئ مُنتشرة في كتابه، حتى أنَّه عَقدَ مباحثاً في كتابه تتضمن هذا الادعاء منها: مبحث بعنوان (تأثيرات ـ إشعاعات ــ المسيحيات واليهوديات) وكذلك مبحثاً بعنوان (الاتجاه إلى الديانات الكتابية) وتضمن كتابه أيضاً مباحث خاصة أفرد فيها الديانة اليهودية وتأثيرها كمبحث (المستوطنات اليهودية) وَكذلك أفرد لديانة المسيحية مبحثاً بعنوان (التبشير المسيحي)، وغيرها من المباحث التي تضمنت في مواضع عدة تقريرات لهكذا ادعاء .

وَفي هذا السياق يذكر باريت (Paret) إنَّ المُهم عنده تَتبع كل استعارة استوعبها النبي محمد من ديانات الوحي كما يزعم بقوله : " ولقد تأثر النبي محمد بديانات الوحي الكبرى، وَظهر ذلك بوضوح في

الوحي المُتأخر نسبياً، ولأنَّ النبي كان يعتبر نفسهُ منتمياً إلى نفس الدين والدعوة مثل أهل الكتاب، فقد كان مُهتماً باستيعاب وَتبني عناصر كثيرة يهودية ومسيحية في موروثة بعد السعي للتعرف عليها، وَنستطيع من خلال القرآن مَعرفة مدى نجاحهُ في ذلك ... وبالنسبة لنا فإنَّ ذلك أمرٌ مُهم لأننا نستطيع أن نتتبَّعَ كلَّ استعارةٍ إلى مصدرها "[١٩] ، وَعليه سنعرض في هذا المطلب الاستعارات التي تتعلق بالوحي القرآني، التي زَعم باريت أنَّ النبي محمد (ص) قد استوعبها في القرآن الكريم، ومدى صمودها أمام النقد العلمي .

فإذا كان النبي ـ كما كان عليه الأمر في الغالب ـ قد دار في خَلَده أن يَحمل رسالةً إلهية على شكل ما لدى أهل الكتاب، فقد كان ضرورياً أن يكون بين يديه نص شعائري كما لديهم . وَلذا فإنّ الوحي القرآني الأول، الذي تلقاه، كان في الوقتِ نفسِه مُفتتحاً لذلك النص الشعائري المُرتجى[٢٠] فَهو يُصرح بمقولته أنَّ النبي محمد)ص) قَصَدَ بالوحي القرآني الأول أن يُماثل و يُشاكِل ما لدى أهل الكتاب من توراة وأناجيل، لكن أرى قبل أنّ أناقش مقولة باريت، أطرح سؤلاً له ولمن يوافقه: مَا هو المَانع أن يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحي الإلهي، الذي أقام الاتصال بين السماء و الأرض على مَدى تاريخ البشرية؟ وَما هو المانع أن يكون القرآن الكريم وحياً أصيلاً مأخوذاً من النبع ذاته الذي اغترفت منه الديانات السماوية ؟ فلماذا يمنع باريت على الإسلام ما يُبيحه لليهودية والنصرانية ؟ أليس مبدأ جواز اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحي مبدأ مُسَّلم به ؟ ... لقد جاء القرآن الكريم بما هو أعظم وأكمل من كل المعلومات التي كانت لدى كل النصارى واليهود في شتى بقاع العالم [٢١]

وَلذاك تُعد دعوى المُشاكلة التي يتوسل بها المستشرقون لإثبات مصدرية القرآن الكريم من التورانجيل[٢٢] لا تتسم بالدقة؛ لأنَّ " المُتتبع لأيِّ نصٍ من النصوص القرآنية لا يُمكن أن نُقارنهُ بنص من التورانجيل بمجرد الوقوف عند الناحية الشكلية لكل منهما، وأعني بذلك التوافق أو الاختلاف في كلمة أو فعل أو حدث أو أشخاص أو أماكن، وإنَّما النظر إلى الاختلاف الجوهري في ثلاثة أشياء أساسية:

الأول : هو البناء الداخلي للنص ككل.

الثاني: الالتفات إلى الظواهر الخاصة في النص القرآني التي تُميزهُ عن النص التورانجيلي سواء من ناحية التفاصيل أو أسلوب العرض.

الثالث: الالتفات إلى استقراء الدلالات اللفظية والأسلوبية التي استقل بها القرآن

الكريم والتي يمكن تتبعها في كتب إعجاز القرآن اللغوي"[٢٣]

ويذكر العقاد[٢٤] الفارق الأكبر بين الإسلام وبين غيره من الأديان هو: هداية العقل المُستمدة من الوحي الإلهي، وأن تعميم المُقارنة دون ترجيح لهو من زيغ الطبع، فالوحي القرآني جَاء مُتمماً ومُصححاً لمَا قبله، فيقول: " وأبعد شيء عن البحث الأمين أن تنعقد المُقارنة بين هذه النبوة الإسلامية ونبوءات أخرى تقدمتها فيزعم الباحث أنها نسخة محرفة منها أو منقولة عنها، فإن الفارق بين نبوءة تقوم حجتها الكبرى على هداية العقل والضمير ونبوءات تقوم حجتها الكبرى على الغرائب والأعاجيب لهو من الفوارق البينة التي لا يَمتري فيها باحثان مُنصفان ... وربما اعترى الخطأ مقياساً من مقاييس البحث فتساوت لديه الزيادة والنقص وتعادل أمامه الراجح والمرجوح، فأمّا أن يُرجح النقص على الزيادة فذلك هو الخطأ الذي لا ينجم إلا من زيغ في الطبع ... والواقع أنَّ النبوة الإسلامية جاءت مُصححة مُتممة لكل مَا تقدمها من فكرة عن النبوة كما كانت عقيدة الإسلام الإلهية مصححة متممة لكل ما تقدمها من عقائد بني الإنسان في الإله، ومن عجيب الاستقصاء أن القرآن الكريم قد أحصى النبوءات الغابرة بأنواعها فلم يدع منها نوعاً واحداً يعرفه اليوم أصحاب المقارنة بين الأديان، ومن تلك الأنواع نبوءة السحر ونبوءة الرؤيا والأحلام ونبوءة الكهانة ونبوءة الجَذِب أو الجنون المقدس ونبوءة التنجيم وطوالع الأفلاك، وكلها مِمّا يدعيه المتنبئون ويدعون معه العلم بالغيب والقدرة على تسخير نواميس الطبيعة "[٢٥]

ويدعي مونتجمري وات (Montogmery Watt) إنّه: " زاد انتشار الحكايات التوراتية في مكة والمدينة زمن محمد، ومن الطبيعي أن نتوقع أنّ زيادة المعرفة بها لابد أن ينعكس في القرآن الكريم، ولا شك أنّ القرآن الكريم كان يضع في اعتباره طبيعة النّاس الذين يتوجه إليهم القرآن بالحديث، أولئك النّاس الذين لم تصل إليهم المعرفة إلا شفاهة ... "[٢٦]

زعم المستشرق اليهودي «جولد تيسهر G.ziher» أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أخذ الوحي من تأثره باليهود والنصارى فيقول :" فتبشير النبي العربي ليس ألا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل أتصاله بالعناصر المسيحية واليهودية, التي تأثر بها تأثيراً عميقاً, والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة , ولقد تأثر بهذه الأفكار تأثر وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية ,

فصارت عقيدة, أنطوى عليها قلبه, كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً ألهياً"[٢٧]

إنَّ دَعوى باريت في اقتباس القرآن لعقيدة التوحيد من اليهودية والمسيحية لهي من المُغالطات التي يسوقها في كتابه، فمفهوم التوحيد لدى المُسلمين يختلف تماماً لدى تلك الديانتين، بل وَهي القضية الرئيسية الفارقة بين الإسلام من أول البعثة النبوية وبين اليهودية والنصرانية .

المبحث الثاني : الوحي المحمدي والتجربة الدينية

يتناول هذا المبحث التعريف بمفهوم العلاقة بين الوحي القرآني والنبي محمد ونسبة المستشرقين الوحي القرآني إليه ، فضلا عن دراسة التجربة الدينية كما يسميها المستشرقون عند النبي محمد وعلاقتها بالوحي القرآني .

المطلب الأول : الوحي المحمدي

شاع في كتابات المستشرقين عبارة : الوحي المحمدي[٢٨] مختزلين فيه معان ومفاهيم متنوعة سعوا لإقرارها لا تخرج في عمومها على التأكيد بأن القرآن الكريم منسوب إلى محمد صنسبة إيجاد وتأليف.

إنّ مصطلح الوحي المحمدي: يسمح للمستشرقين بتقرير رؤيتهم حول بشرية القرآن الكريم من زوايا عدة ، تؤكد في مجموعها على غاية نسبة الوحي إلى النبي محمدص ، من قبيل : دعوى إنّ الوحي كان نتيجة : إلهام، أو ابتداع، أو رؤية استبصارية، أو نوبة صرع، أو دعوة اشتراكية، أو رؤية قومية، وغيرها من الأفكار التي استخلصوها من علوم مختلفة كعلم النفس والاجتماع وغيرها ، مختزلين تلك الأفكار بمصطلحات جامعة من قبيل : مصطلح المطلب وغيره .

وقد صرح نولدكه بهذه الرؤية حين وصف القرآن الكريم بكونه: " القرآن المحمدي ... الكتاب المقدس المحمدي" [٢٩]

ومنها دراسة للمستشرق شاخت[٣٠] (Shacht) بعنوان : جذور الفقه المحمدي، طبع بأكسفورد، عام: (١٩٥٩م)[٣١]، وألف هاملتون جب (H.Gibb[٣٢] كتاب: المحمدية (Mohammedanism)، عام: (١٩٤٩م) [٣٣]، وألف مرجليوث[٣٤] (Margoliouh، كتاب : التطور المبكر للمحمدية ، وكتاب : المحمدية [٣٥]، وألف: ريلند[٣٦] (Reeland، كتاب: في الديانة المحمدية[٣٧]

في حين يرى المستشرق بودلي (Bodly) أن النبي محمد (ص) رفض استعمال مصطلح: محمدي عن الدين الإسلامي، إذ يقول: " لم يستعمل محمد

وأتباعه عبارة: محمدي أو المحمدية ، فعلى الرغم من توقيرهم لزعيمهم ، كان محمد المخلص يُعرض عن هذه التسمية دوماً، وإنّ التعريف الوحيد الذي ينطبق على من يَدين بالدين الذي أسسه محمد هو: المسلم، من يسلم نفسه لمشيئة الله "[٣٨] وهذه الرؤية تتفق مع ما نُقل عن علماء الإسلام، إذ يذكر الإمام الماتريدي في تفسير قوله تعالى: {وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِين}[٣٩] ، بقوله: " انتسب إلى ما خص الله سبحانه وتعالى تسميتهم به ، وهو : الإسلام؛ كقوله تعالى: { هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ}[٤٠]، وقوله: { أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ}[٤١]، وقال في حق إبراهيم ص :{ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}}[٤٢]، ويكون اسم المؤمن خاصًّا لأهل الحق؛ فإنّ اليهود والنصارى سمّوا أنفسهم مؤمنين، ولا يمتنعون عن إطلاق اسم: المؤمن، ويمتنعون عن إطلاق اسم : المسلم؛ ولهذا يقال: دار الإسلام، ولا يقال: دار الإيمان، وإن كان الإسلام والإيمان واحداً؛ لاختصاص هذا الاسم بهَؤُلَاءِ، والله أعلم" [٤٣]

ويعلق الدكتور إبراهيم عوض على مصطلح : المحمدي، بقوله: " ونحن المسلمين نرفض أن يسمى ديننا: بالمحمدية، أو أن يطلق على أي إنسان علينا اسم: المحمديين، ذلك أنّ محمداً ص ليس هو صاحب الإسلام كما يريد هؤلاء المستشرقون أن يقولوا ، بل هو رسول من عند رب العالمين أنزل عليه القرآن وأمر بتبليغه ، فهو مسلم ونحن مسلمون، بل إنّ كل الأنبياء والرسل السابقين هم أيضاً مسلمون " [٤٤]

المطلب الثاني: التجربة الدينية والوحي القرآني

يرى جمهرة من المستشرقين أن الوحي القرآني ما هو إلا نتاج تجربة دينية إنسانية خاضها النبي محمد (ص)، وقد تكرر مفهوم التجربة الدينية في كتابات المستشرقين[٤٥]، وأحيانًا يطلق عليه : التجربة القرآنية[٤٦] أو التجربة النبوية[٤٧]

وقد صرح باول شيفارتزيناو: Paul Schwarzenau)): بأنّ القرآن الكريم كان انعكاسًا للتجربة الدينية التي مارسها النبي محمد ص، كما يدعي بقوله: " بدلاً من ذلك يرى المؤلف في النصوص القرآنية : انعكاسًا لتجارب دينية أساسية، والتي تعكس بداية التجارب التي عاشها محمد وعاشتها بيئته المحيطة ، والتي تنفتح على تصورات نفسية عميقة كتجارب متأصلة تتمتع بصلاحية عامة "[٤٨] ، وكذلك عبارة مونتجمري وات (Montogmery Watt) التي تقرر أنّ: " الأساس الأول للإسلام هو: الوجود الحي لإله واحد قوي عظيم ذي سلطان، أوحى إلى محمد ، وقد تبلورت تجربة الوحي هذه في القرآن "[٤٩]، ومن المصاديق على هذا المفهوم دعوى: إنّ

سورة الشرح هي إحدى السور القديمة التي تعكس التجربة الشخصية للنبي[٥٠]

ولعل ذلك أن المستشرقين انطلقوا من علم الاجتماع الديني في طرح مفهوم التجربة الدينية وارتباطه بالوحي القرآني ؛ ولذلك يؤكد بعض الباحثين ممن عرّف التجربة الدينية على تناقض مفهومها مع مفهوم الوحي المقدس، يقول رينيه جيرار(Rene Girard): " ودائمًا تخلص التجريبية الدينية إلى النتيجة الآتية: ضرورة البقاء بعيدًا عن قوى المقدس قدر المستطاع ومحاذرة الدخول معها في احتكاك مباشر، من هنا كان يستحيل ألّا ينشأ بين التجريبية الدينية والتجريبية الطبية أو العلمية عمومًا ، تقاطع حول عدد من النقاط يوفر لبعض المراقبين مجال الاعتقاد بانطواء التجريبية الدينية على شكل أولي من أشكال العلم "[٥١].

ومما تقدم ترى كارين آرمسترونج (Karen Armstrong) أن النبي محمد من دون التجربة الدينية ما كان القرآن الكريم موجودًا، إذ تقول: " لقد أوجد محمد شكلًا أدبيًا جديدًا كليًا لم يكن الناس مستعدين له، وكان يدخل النشوة في قلوب الآخرين، ويبدو محتملاً جدًا أنّه ما كان للإسلام من دون تجربة القرآن هذه أن يضرب جذوره ... فمحمد كشاعر ونبي، والقرآن كنص وتجلٍ هو: بالتأكيد مثال مذهل غير عادي للانسجام العميق الموجود بين الفن والدين "[٥٢].

دفعت تلك الرؤى المضطربة للوحي المنزل على النبي محمد ص بباول شيفارتزيناو(PaulSchwarzenau) إلى القول :" إنّ ما يظهر أثناء التجربة الدينية من تصور لله يعود إلى شيء لا يدرك ، ولا يمكن أن يتصور ولا تخضع ذاته إلى البحث ، ولا يمكن مقارنتها بأي شيء على الأرض، إنّ القرآن الذي هو مثل غيره من الكتب المليئة بالتجارب الدينية ، مليء بتصورات لذات لا يمكن تصورها: الذات الإلهية "[٥٣]

أما جون اسبوزيتو (John Esposito)، فيقول: " يرسم التراث الإسلامي صورة أولية لنبي مضطرب وقلق إلى حد ما، استحوذت عليه التجربة مثل الأنبياء العبرانيين الوارد ذكرهم في الكتاب المقدس، مضطرب بشأن معنى التجربة - تجربة الوحي - وقلق حول كيفية تلقي الآخرين لدعواه، وعلى نحو ما يكشف تاريخ تراث الأنبياء أنّ أولئك الذين نادوا بأنّهم منذرون ورسل من الله لم ينعموا بحياة سهلة، فالأنبياء الذين قالوا بأنّهم ضمير المجتمع الذي ألهمه الله، والذين أدانوا كفر المجتمع والذين تحدوا الثابت والثقافة السائدة غالباً ما واجهوا الاستهزاء والرفض والاضطهاد ولم يكن محمد استثناء "[٥٤]، وهذا المفهوم

مع تنوعه إلا أنه يؤسس لفكرة واحدة مفادها أن القران الكريم ما هو إلا نتاج بشري لا يرتبط بالوحي الإلهي .

الخاتمة

يخلص البحث عن مفهوم الوحي القرآني عند المستشرقين إلى النتائج الآتية :

1 ـــ يؤكد المستشرقون في أكثر كتاباتهم على أنَّ القرآن الكريم كتاب من تأليف النبي محمد (ص)، وليس كتاباً من عند الله تعالى .

2 ـــ يتوسلُ المستشرقون بأساليب ومناهج كثيرة لكي يصلوا إلى غاياتهم المتمثلة ببشرية القرآن بمناهج عدة من أبرزها استعمالهم لمنهج النقد التاريخي وتطبيقه على السيرة المحمدية .

3 ـ يؤسس المستشرقون في كتاباتهم لعلاقة ورابطة بشرية بين القرآن الكريم وبين النبي محمد (ص)، انطلق منها لتحقيق غاياته وأهدافهِ وفقا لتجربة دينية خاضها النبي محمد.

4 ـ يتسم أسلوب كثيرا من المستشرقين في كتاباتهم من الناحية الشكلية بالبساطة مع إضفاء طابع العلمية، إلا أنَّ كثيراً من صياغاتهم تتسم بالتشكيك والارتياب حول مفهوم الوحي القرآني.

5 ـــ يؤكد المستشرقون في أغلب مفردات كتاباتهم على دعوى التأثير اليهودي والمسيحي على القرآن الكريم والرسالة الإسلامية .

6 ـــ يحاول المستشرقون في إثبات التأثير النفسي على الوحي القرآني، وذلك بتحليل مواقف من السيرة المحمدية على أنَّها انعكاساً لمَا كان يُلاقيه النبي محمد(ص) من خصومه، ومَا يتعرض له في خلال حياته .

7 ـ يُحاول كثير من المستشرقين نفي مصدرية الوحي الإلهي عن القرآن الكريم، ساعياً لإثبات مصادر متعددة للقرآن الكريم لا تخرج في غالبها عن الموروث الجاهلي ونصوص التوراانجيل.

8 ـ لا يُثبت أغلب المستشرقين للقرآن الكريم إلا باعتبارهِ وثيقة تاريخية تُعبر عن حقبة النبي محمد (ص) وَحياته الشخصية . والله الموفق.

<u>هوامش البحث</u>

[١] لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور : ١٥/ ٣٧٩

[٢] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى (٥٠٢هـ) : ٨٥٨

[٣] مباحث في علوم القرآن، مناع القطان : ٢٩

[٤] المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية: ٢١٣

[٥] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني : ١٤/ ١
[٦] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون : ١٣٥
[٧] رسالة التوحيد، محمد عبده :٨٥
[٨] ينظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي : ٢ / ٤٨٦ ـــ ٤٨٩ .
[٩] الكتاب المقدس، دار الشروق بيروت لبنان طبعة ١٩٨٣م، العهد العتيق، سفر الخروج، الفصل السادس : ٢
[١٠] العهد القديم، سفر القضاة، الفصل الثالث عشر : ٧
[١١] العهد القديم، نبوءة حزقيال، الفصل الأول : ١
[١٢] ينظر آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم رضوان: ١ / ٣٧٧ ـــ ٣٧٨
[١٣] آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، د . أحمد نصري : ٩٨
[١٤] نقلاً عن كتاب : الوحي المحمدي ثبوة النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، محمد رشيد رضا : ٩٥
[١٥] تاريخ القرآن، تيودور نولدكه : ٢١
[١٦] ينظر : الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات : ١٦٥
[١٧] الله والإنسان في القرآن، توشيهيكو إيزوتسو : ٢٤٠
[١٨] محمد والقرآن، رودي باريت : ٨٢ ـــ ٨٣
[١٩] محمد والقرآن، رودي باريت : ١٠١ ـ ١٠٢
[٢٠] ينظر: محمد والقرآن، رودي باريت: ٨٢ ـ ٨٣
[٢١] ينظر نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى نجا، دار الإيمان لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣ م : ١٠١
[٢٢] يُقصد به: (التوراة والإنجيل)
[٢٣] آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، د. أمجد يونس : ٢١٢
[٢٤] عباس محمود العقاد (١٨٨٩ ـ١٩٦٤: (أديب و مفكر و صحفي و شاعر مصري من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع، أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى المحلة الكبرى، وكان أحدهم يعمل في (عقادة) الحرير فعرف بالعقاد، وأقام أبوه (صرافا) في أسنا فتزوج بكردية من أسوان،تعلم الإنكليزية في صباه وأجادها ثم ألمَّ بالألمانية والفرنسية وظل اسمه لامعاً مدة نصف قرن أخرج في خلالها من تصنيفه (٨٣) كتاباً، في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع، منها كتاب عن الله و عبقرية محمد : ينظر الإعلام، خير الدين الزركلي : ٣/ ٢٦٦
[٢٥] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد : ٨٨ ـ ٨٩
[٢٦] الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات: ٩٤ ـــ ٩٥
[٢٧] العقيدة والشريعة في الاسلام , جولد زيهر ، ترجمة يوسف موسى وزميله : ١٢,
[٢٨] ينظر على سبيل المثال : الإسلام الشيعي عقائد وايديولوجيات ، يان ريشار ، ترجمة حافظ الجمالي ، دار

عطية للطباعة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م :٤٦ ، ٩١. وينظر: الإسلام والرأسمالية ، مكسيم :١٥٧

[٢٩] تاريخ القرآن ، نولدكه : ٣٤٢

[٣٠] جوزيف شاخت) ١٩٠٢ ـ ١٩٦٩م) : مستشرق ألماني يهودي الديانة، ولد في ألمانيا، درس اللغة العربية وتخصص بالفقه الإسلامي، ومن إنتاجه العلمي: نشر كتاب الحيل والمخارج للخصاف، واختلاف الفقهاء للطبري، وله : تاريخ الفقه الإسلامي. ينظر موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي : ٣٦٦ ــــ ٣٦٧

[٣١] ينظر: تاريخ المجتمعات الاسلامية ، أيرام لابيدس : ٢/ ١٤٢٩

[٣٢] هاملتون جب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١م) : مستشرق بريطاني ولد بالإسكندرية ، أهتم بتاريخ الأدب العربي ، ودّرس في جامعات أوربية وأمريكية كبيرة، حصل على عضوية المجمع العلمي بدمشق وبمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ترك الكثير من الأعمال المهمة منها: الفتوحات العربية في آسيا الوسطى، المدخل إلى تاريخ الأدب العربي وغيرها . ينظر : موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي : ١٧٤.

[٣٣] ينظر: موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي : ١٧٥

[٣٤] دافيد صمويل مرجوليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠ م) : مستشرق بريطاني ، درس اللغات السامية ، اختير عضواً في المجمع العلمي العربي ، من مؤلفاته : محمد ونشأة الإسلام ، نشر العديد من الكتب منها : معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ونشوار المحاضرة للتنوخي. ينظر : موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي : ٥٤٦

[٣٥] ينظر: محمد والفتوحات الإسلامية ، فرانشيسكو : ٥٣

[٣٦] ريلند (ت ١٧١٨م) : مستشرق هولندي ، من مؤلفاته : القانون الحربي عند المسلمين ، الجواهر العربية ، وحقق كتاب تعليم المتعلم لبرهان الدين الزرنوجي. ينظر: موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي : ٣٠٧ ـ ٣٠٨

[٣٧] ينظر: موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي : ٣٠٧

[٣٨] الرسول : حياة محمد ، ر. ف. بودلي : ١٥

[٣٩] سورة فصلت ، من الآية :٣٣

[٤٠] سورة فصلت ، من الآية :٣٣

[٤١] سورة البقرة ، من الآية :١٢٨

[٤٢] سورة البقرة ، من الآية :١٣١

[٤٣] تفسير الماتريدي ـ تأويلات أهل السنة ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ): ٩ /٨٠

[٤٤] المصدر السابق : ٧٣ الهامش.

[٤٥] ينظر : تاريخ الأدب العربي ، بلاشير ، ترجمة د. ابراهيم الكيلاني ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٧٤م : ٣ / ٤٨٢،

وينظر : الله والإنسان ، كارين ارمسترونغ : ١٤٨ ـ ١٤٩

[٤٦] ينظر : دروس قرآنية للمسيحيين ، باول شيفارتزيناو : ٢٣

[٤٧] ينظر : الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات: ٥١

[٤٨] دروس قرآنية للمسيحيين ، باول شيفارتزيناو : ٢٧

[٤٩] القضاء والقدر في فجر الإسلام ، مونتجمري وات : ٥٥

[٥٠] ينظر : أخلاق كونية لثقافات متعددة ، بيير سيزاري بوري – سافير يوما رشينيولي ، ترجمة د. أحمد عدوس ، دار الطليعة بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م : ١٩٣

[٥١] العنف والمقدس ، رينيه جيرار ، ترجمة سميرة ريشا ، المنظمة العربية للترجمة بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م : ٦٦

[٥٢] الله والإنسان ، كارين آرمسترونج : ١٥٥ ـ ١٥٦

[٥٣] دروس قرآنية للمسيحيين ، باول شيفارتزيناو : ٦٠

[٥٤] التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة ، جون ل . اسبوزيتو : ٤٨

المصادر

١. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة الرياض

٢. الإسلام الشيعي عقائد وايديولوجيات ، يان ريشار ، ترجمة حافظ الجمالي ، دار عطية للطباعة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م

٣. أخلاق كونية لثقافات متعددة ، بيير سيزاري بوري – سافير يوما رشينيولي ، ترجمة د. أحمد عدوس ، دار الطليعة بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

٤. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، د. أحمد نصري، دار القلم الرباط المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٥. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

٦. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٧. تاريخ الأدب العربي ، بلاشير ، ترجمة د. ابراهيم الكيلاني ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٧٤م :

٨. تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، تعديل فريديريش شفالي، ترجمة جورج تامر، دار النشر جورج المز هيلدسهايم زوريخ

نيويورك، الطبعة الأولى بيروت ٢٠٠٤م.
٩. تاريخ المجتمعات الإسلامية، أيرام. لابيدس، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الثانية ٢٠١١م.
١٠. تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
١١. التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، جون ل. اسبوزيتو، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.
١٢. دروس قرآنية للمسيحيين مدخل إلى كتاب المسلمين المقدس، باول شيفارتزيناو، ترجمة السيد محمد الشاهد، دار قباء للطباعة القاهرة ٢٠٠١م.
١٣. رسالة التوحيد، محمد عبده، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م.
١٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ب - ت).
١٥. العنف والمقدس ، رينيه جيرار ، ترجمة سميرة ريشا ، المنظمة العربية للترجمة بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م
١٦. الكتاب المقدس، دار الشروق بيروت لبنان طبعة ١٩٨٣م، العهد العتيق.
١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور . تحقيق عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة (ب - ت).
١٨. الله والإنسان في القرآن، توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة د. هلال محمد الجهاد، الطبعة العربية للترجمة بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٩. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة السابعة (ب - ت).
٢٠. محمد والفتوحات الإسلامية، فرانشيسكو كبرييلي، ترجمة د. عبد الجبار ناجي، منشورات الجمل بغداد - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١م.
٢١. محمد والقرآن دعوة النبي العربي ورسالته، رودي باريت، ترجمة الدكتور رضوان السيد، الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م

٢٢. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، تصدير إبراهيم مدكور، المطابع الأميرية، القاهرة ١٤٠٣ هـ ـــ ١٩٨٣م.
٢٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى (٥٠٢هـ) تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٤. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
٢٥. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة أدارت البحوث والإفتاء السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م.
٢٦. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، الدار العلمية للفلسفة (ب ـ ت).
٢٧. نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، د. فاطمة هدى نجا، دار الإيمان لبنان، الطبعة الأولى ١٤